

مقام المشاهدة وعين الجمع^(*)

﴿الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد وتخييلات وحدة الوجود﴾

قال^(١) ﴿الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالكة لصحة الوجود ، رابطة ببحر الوجود﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لجل ما يرد عليه في مقامه من أنواع العكشوفات والمعارف ، وذلك كانت مشاهدته مالكة لصحة الوجود ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كلها لها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للمحدد والموحد ، فاللهد يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والافعال والاسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يجعل الحق تعالى عقد خليفته بيد حقيقته ، فيرجع النور القانص على صورة خليفته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فينتهي الوجود للحق ، والغناء للحق ، ويقوم الحق تعالى وصفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أدلاره ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بعد نفيه ومحوه ، وإبقاء بعد فناؤه ، فماد كما يعود السكران الى صحوه — وجد في ذات استمراره ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارح أشعة نوره ، ووجد خليفته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلائلها الى الوجود المنزه الاصل الموهوم الفرع ، فيودي استصحاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكليه والشكل على اختلاف ضرورته ، فمعي عدمي لتعين امكانه في وجوده

(* مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

فانظر ما في هذا الكلام من الالحاد والكفر الصراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه نائبة عنه في استجلاء ذاته، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق، وان الانسان اذا صحا من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب، ووجد خليقته أسماء مسمى ذاته، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثير « الموم الفرع » يعني الذي يورثه وتكثر مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد، وانما هو وجود واحد، والاشكال على اختلاف ضروبها أمور عدمية، لانها ممكنة وامكانها يقنى في وجودها، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها، والاسماء التي اشارت اليه، فالأتمادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوايلها واستعداداتها، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التمسك بمعبود معين أو عبادة معينة، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم (١)

وان خر للاحجار في البيد عا كف
وان عبد النار الجوس وما انظفت
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم
وما عند الزنار حكما سوى يدي
وكا قال عارفهم (٢): واعلم ان الحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) — قال — رما قضى الله شيئا الا وقع (٣) وما عبد غير الله في كل معبود. فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن القارض » ٢ وفي هامشها أيضا « اعلمه ابن عربي صاحب القصوص، المشتمل على مخالفة النصوص »
(٢) حمل القضاء على التكويني وانما هو بمعنى التشريعي، فحجته داخضة

والموحد يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتا جامعة للاسماء الحسنی والصفات العلی ، لها صفة كل كمال^(١) وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتماع همه على الله وعلى القيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا يخرج عن هذين السببين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة^(٢) على الله ، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التقرب اليه بالنوافل ، بعد تكميل الفرائض ، فلا تطول ولا يطول عليك

وشيخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يدندن حوله ، وعين الجمع عنده هو تفرد الرب سبحانه بالازلية وبالادوام^(٣) وبالخلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو المكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم اتضح وجود العبد في وجود الحق ، وتدييره في تدير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من العبد متلاش مضمحل كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالا لا تكلفا ، وطبعا لا تطبعا ، فقد تقيمت الهمة الى امر وتعلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متحل به ، ولكن ارادة السوى كامنة فيه قد تواري حكمها واستر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاما تواري عنه ارادته لغيره والتفاتة الى ما سواه ، مع كونه كامنة في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وادنى فخل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذا الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهمة على الله ارادة وعبادة واثابة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وهوائهم ، فهذا جمع خواص المقرين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهمة » (٣) وفيها « والادوام »

وساداتهم (والثاني) الاستفراق في الفناء في شهود الربوبية ، وفرد الرب سبحانه بالأزلية والنوام ، وان الوجود الحقيقي له وحده وهذا الجمع دون الجمع الاول بمراتب كثيرة (الثالث) جمع الملاحدة الاتحادية وعين جمعهم ، وهو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فليك بتمييز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتمييز بين صحيحها وفاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الوجود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شاهدة بذلك مشهوداتها به ، لانها فوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة قوله « رابطة بحر الوجود » يعني تلك المشاهدة رابطة بحر الوجود فهي في لجة بحره لا في انواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب ان شاء الله تعالى

منزلة المعاينة أو مقامها

﴿ من مدارج السالكين أيضا ﴾

قال شيخ الاسلام ^(١) ﴿ (باب المعاينة) قال الله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) ﴿ قلت المعاينة مفاصلة من العيان ، وأصلها من الرؤية بالعين يقال : عاينه اذا وقفت عينه عليه ، كما يقال : شافه . اذا كلفه شفاها ، وواجهه ، اذا قابله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، واما قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » فالرؤية واقعة على نفس مد الظل ^(٢) لا على الذي مده سبحانه ، كما قال تعالى (ألم ترؤا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا) وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) فهاهنا أوقع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » أوقعها في اللفظ عليه سبحانه والمراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في العزى : [كفرانك اليوم ولا سبحانه] أي رأيت الله قد اهانك [وهو ككثير في

(١) أي ابو اسماعيل الهروي صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل

كلامهم ، يقولون : رأيت الله قد فعل كذا وكذا ، والمراد رأيت فعله ، فالبيان
والرؤية واقع على المفعول لا على ذات الفاعل وصفته ، ولا فعلة القائم به

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعاينة ^(١) ثلاث (احداها) معاينة الابصار (الثانية)

معاينة عين القلب وهي معرفة عين الشيء ^(٢) على نعمته علما يقطع الريبة ، ولا تشوبه

حيرة ^(٣) (الثالثة) معاينة عين الروح وهي التي تعان الحق عياناً محضاً ، والارواح

انما ظهرت وأكرمت بالبقاء تعان ^(٤) سناء الحضرة وتشاهد بها العزة ، وتجذب

القلوب الى فسء الحضرة ﴿ جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح ، وجعل

لكل معاينة منها حكماً ، فمعاينة العين هي رؤية الشيء عياناً امّا بانطباع صورة

المرئي في القوة الباصرة عند اصحاب الانطباع ، واما باتصال الشعاع المنبسط من

العين المتصل بالمرئي عند اصحاب الشعاع ، واما بالنسبة والاضافة الخاصة بين

العين وبين المرئي عند كثير من المتكلمين ، والاقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ

وصواب ، والحق شيء غيرهما ، وان الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة كما جعل

في الاذن قوة سامعة وفي الأنف قوة شامة وفي اللسان قوة ناطقة ، فهذه قوى

اودعها الله في سبحانه هذه الاعضاء وجعل بينها وبينها رابطة ، وجعل لها اسباباً من

خارج ، وهوانع تمنع حكماء ، وكل ما ذكره من انطباع ومقابلة وشعاع ونسبة واضافة

فهو سبب وشرط والمقتضي هو القوة القائمة بالحل ، وليس الغرض ذكر هذه المسئلة

فالتقصود امر آخر

واما معاينة القلب فهي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبتته الى القلب

كنسبة المرئي الى العين ، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعى كما تبصر العين

وكما تعى ، قال تعالى (فانها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور)

فالقلب يرى ويسمع ويعى ويصم ، وعماء وصممه ابلغ من عمى البصر وصممه

(١) في المتن وب « المعاينات » « ٢ » في المتن « معرفة الشيء » « ٣ » زاد فيه هنا

« وهذه معاينة بشواهد العلم » « ٤ » في ب « لتناغمي »

وأما ما يثبت متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [وهو رؤية الروح وسمها وادانتها وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب] فهو إلقاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب^(١) ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي عملها القلب ، ونسبتها إلى القلب كنسبة القوة الباصرة إلى العين ، والقوة السامعة إلى الأذن ، ولهذا نسي ملك القوة قلباً كما تسمى القوة الباصرة بصراً . قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يرد شكل القلب فإنه لكل أحد ، وإنما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواء الا بها ، ولها باعتبار اضافتها إلى كل محل حكم واسم يخصها هنالك ، وإذا أضيفت إلى محل البصر سميت بصراً وكان لها حكم يخصها هناك ، وإذا أضيفت إلى محل السمع سميت سمعاً وكان لها حكم يخصها هناك ، وإذا أضيفت إلى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة وسامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة^(٢) هذا العاقل الفهم المدرك المحب المعارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والأمر والنهي — هو شيء واحد له^(٣) صفات متعددة بحسب متطقاته ، فإنه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس إلى الاخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفس وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم انها لم تعدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات الحمودة فسميت روحاً

(١) سقط من ب كلمة والقلب (٢) في ب « ففي الحقيقة » ولعله الصواب

(٣) وفيها « وله »

وهذا اصطلاح مجرد والا فالله سبحانه سماها نفساً في القرآن في جميع أحوالها -
 أمارة ولوامة ومطمئنة . وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) ويدخل في
 هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً
 على الاطلاق مؤمنة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله « ان الروح اذا قبض
 تبعه البصر » وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء »
 وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان (١) مؤمناً كان كذا وكذا وان
 كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سماه الله في كتابه نفساً ،
 وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى
 كلها - العقل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان : معاينة بصر ، ومعاينة بصيرة ، فمعاينة البصر وقوعه
 على نفس المرئي ، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ، ومعاينة
 البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له
 بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن
 بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدرَكها بحيث يستغرق فيه ،
 فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث
 يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لغلبة الشهود وقوة
 الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع
 بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي
 أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ،
 فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي
 لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لتدكدكت وأصابها ما أصاب
 الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب انما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور
 نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والأمثلة العلمية

والدقائق^(١) التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،
 وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،
 منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،
 وإنما هي الشواهد التي تتوهم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار
 وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :
 « ما أجد ریح الجنة ! اني أجد ريحها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
 « اذا مورتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — سلق
 الذر » ومن قوله « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهو روضة
 لأهل العلم والایمان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، وإذا
 قصد المناق هنا لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا
 قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل إنما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد
 العبد يكون عمله ، اه المراد منه

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام ابو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)

وعناوين المسائل من زيادة المناز

ما أخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من
 القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع
 علماء الامة عنه عليه السلام - وهو الاجماع - واما بنقل جماعة عنه عليه
 السلام - وهو نقل الكافة - واما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى